الذي صدَّر به الناقد هذا القسم لا يخلو من الإثارة، إذ يُفترضُ أن ما سيقال فيه له علاقة وطيدة بما سبق في حين أنه يشكِّل في نظرنا محاولة لتصحيح مجموع التحليل وتدارك ما يمكن تداركه من العطب الذي حصل فيه؛ إذ يعمد الناقد إلى بناء تصور نظري جديد نرى أنه أكثر تماسكاً مما وُضِعَ في مدخل الكتاب ـ وسنتبيَّن ذلك بالمعاينة ـ. ومما يؤكد طابع الاستدراك الذي يطغى على هذا القسم أنه جعله قسمين متميزين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، وذلك بشكل يوازي تماماً قسمي الكتاب السابقين.

ويتجلى الانسجام في الأطروحات النظرية لهذا القسم / الخاتمة ـ وهو انسجام لا بد من أخذه بعين الاعتبار عند تحديد القيمة المنهجية والنظرية لمجموع الكتاب ـ من خلال مناقشة علاقة الرواية بالإيديولوجيا، إذ يحاول الناقد أن يقدم تعريفاً لكل من الإيديولوجيا والرواية مبيناً في ضوء ذلك طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما، فإذا كانت الإيديولوجيا هي ـ حسب رأيه ـ «نسق من الأفكار والعادات والأخلاق، والمفهومات والقوانين، والفنون. . . تتشكل في مرحلة محددة». فإن الرواية باعتبارها فناً، تشكل أحد مظاهر الإيديولوجيا (ص: 105 - 106). وقد تبين لنا من خلال إشارة سابقة أن الناقد يستفيد في تصوره للإيديولوجيا من الفكر الماركسي، إلا أنّه مع ذلك لم يسجل جانباً مهماً في تعريف الإيديولوجيا حرص عليه الفكر المادي التاريخي وهو متعلق بالطابع «الكاذب» أو الوهمي للإيديولوجيا، «ذلك أن ماركس، وانجلز لم يُطلقا اسم «إيديولوجيا»، في جميع مؤلفات النضج إلا على نوع محدد من الوعي، هو «الوعي الكاذب»»[115].

وإذا كانت الإيديولوجيا هي نوع من «الوعي بالعالم» فإنها، مع ذلك حسب التصور المادي التاريخي الذي يستفيد منه الناقد، لا يمكن أن تكون هي رؤية العالم، لأن هذه تبدو نقيضاً، أو بديلاً معرفياً للرؤية الإيديولوجية الزائفة في معظمها[116]. هذا التمييز الأخير لا ينتبه إليه الناقد أبداً في هذا الجانب النظري، ولذلك فهو يجعل الإيديولوجيا مقابلاً لمفهوم الرؤية الذي استخدمه في التحليل[117].

---

(115) انظر كتاب جورج طرابيشي: **الماركسية والإيديولوجيا**. دار الطليعة، بيروت ط 1, 1971، ص 99 - 100.

(116) هناك من الماركسيين من يقرب كثيراً بين الإيديولوجيا، والرؤية للعالم، ومن هؤلاء ألتوسير. انظر مقال جي بوبللّي: **اجتماعية الأدب، حول اشكالية الانعكاس**. مجلّة فصول (المصرية) عدد 2. يناير 1981، ص 80، عمود 1. فقرة 1.

(117) لم تتم الاشارة بشكل مباشر إلى هذا الجانب من طرف الناقد، غير أننا نعتمد هنا على طبيعة النسق العام لمجموع الكتاب، ففي الوقت الذي يختفي فيه الكلام عن الرؤية يظهر الكلام عن الإيديولوجيا وكأنها تعويض لذلك المفهوم. ونتذكر هنا ما أشرنا إليه عن الطابع الاستدراكي أو التصحيحي لهذه الخاتمة النظرية. وانظر التمييز الذي أقمناهُ في القسم الأول بين الإيديولوجيا بالمفهوم السياسي والإيديولوجيا باعتبارها رؤية للعالم.